المحاضرة الاولى

مفهوم علم الاجتماع التطبيقي

علم الاجتماع التطبيقي هو استخدام المعرفة السوسيولوجية في حل المشكلات الاجتماعية إذ يدرس هذا العلم مدى إمكانية وضع حقائق علم الاجتماع والنظرية الاجتماعية في مجال التطبيق العملي ومحاولة الارتقاء بالنظم والأوضاع القائمة ومحاولة معالجة المعتل منها.

ويدخل في إطار هذا العلم الدراسات المتعلقة بالتنظيم والتنسيق والمسح الاجتماعي والرقابة الاجتماعية والتخطيط الاجتماعي والهندسة الاجتماعية والخدمة الاجتماعية ، وما إلى هذا من الأمور التي ينطوي عليها الإصلاح الاجتماعي.

الخلفية التاريخية لعلم الاجتماع التطبيقي.

هل هناك أسباب تارخيية وحاجات مجتمعية وتطورات ثقافية لنشوء علم االجتماع التطبيقي؟

إن علم الاجتماع لا يثمر ثمرات معرفية ومنهجية ونقدية إلا في مجتمع يفعم بالمشاكل والأزمات المستعصية والمعضلات المتعسرة الحلول. بمعنى أن علم الاجتماع لا يكون علماً مهماً ومتبوئاً مكانة معرفية مرموقة في المجتمعات البدائية أو البدوية أو الريفية أو الدينية أو التقليدية المحافظة التي تقل فيها المشكلات الاجتماعية كماً ونوعاً.

تلك المجتمعات لا تحتاجه مثلما يحتاجه المجتمع الحضري أو الصناعي أو المعلوماتي. إن تكاثر المشكلات الاجتماعية في المجتمعات الغربية التي خلفتها التحولات والتغيرات المادية والبيئية والاجتماعية، هي التي أفرزت حاجات تطبيقية في علم الاجتماع، واستدعت نشوء مثل هذا العلم لحل المشكلات. يعد عالم الاجتماع أميل دوركهايم –الذي كتب عن ظاهرة الانتحار في نظام تقسيم العمل- حسب رأي كولدنر عالم اجتماع تطبيقياً تقليدياً.

في المجتمعات الأوربية، لم يكن لدى علماء الاجتماع التطبيقي)التقليديين (نظرية اجتماعية مناسبة تخدم أهدافهم التطبيقية، رغم دراساتهم لوقائع وظواهر حية مثل: الديمقراطية، حالة السجناء، الانتحار، التفكك الاجتماعي.

لم يعتمد التطبيق قديماً على الوثائق التاريخية أو دراسة الماضي أو ما يقدم المؤرخون.. بل كان الباحث في أوربا يقوم بدراسة الحدث بنفسه، فيجمع المعلومات عنها.. و لم يهتم بدراسة العلاقات السببية بين متغيرات الدراسة .. وكذلك لم يهتم بدراسة وحدات اجتماعية صغيرة الحجم. لم يكن هدف الباحث إرضاء الساسة أوأصحاب القرار، أو تلبية حاجات المجتمع... إنما كان هدفه تقليد العلوم الصرفة والفلسفة في بناء اختصاصه، لإرساء مقاليد العلم فيه، وليصبح الباحثون الأوائل رواداً فيه... وليس لخدمة وإرضاء المدراء وصناع السياسة الاجتماعية.

لكن بعد تحقيق هدف الباحثين في إرساء القواعد العملية لتأسيس علمهم، جنح بعضهم نحو خدمة المجتمع المحلي، من خلال إسهامهم بدراسة معاناة وهموم ومشاكل المجتمع الأوربي.

- كان ذلك بالاشتراك مع زملائهم في اختصاصات أخرى وبتوجيه صناع السياسة الاجتماعية والمسئولين الإداريين في المنطقة والإقليم.

-هذا ما كان الحال عليه لعلم الاجتماع التطبيقي في أوربا

- لكن الحال كان مختلفاً في المجتمع الأمريكي تماماً كما يختلف في نشأته وتركيبته عن أوربا.

-إن وجود بعض المشكلات التي أوجدها المجتمع الصناعي المتقدم تقنياً ومادياً في أمريكا ذات القوميات والأعراق المتعددة

والمتنوعة ثقافياً ولغوياً ودينياً، كانت تتطلب الإصلاح، وتحسين الوضع الاجتماعي، وهذا استدعى بدوره تطبيق مناهج علمية :

كالمسح الاجتماعي للمشكلات الاجتماعية السائدة في المجتمع : كمشكلة الرواتب وظروف السكن الصحية والإسكاني ومشكلة العلاقات الأسرية وغير ذلك، بهدف إيجاد الحلول المناسبة.

- وهذا كان سبباً مهماً لتأسيس قسماً خاصاً بالمسوحات الاجتماعية وجمع المعلومات في مؤسسة راسل سيج عام ١٩١٢ م.

- ففي عام ١٩٢٨ استطاع رئيس قسم المسوحات أن يقيم أكثر من) » شيلبي هاريسون « ٢٠٠٠ (مسح اجتماعي على الصعيدين الوطني والمحلي في الولايات المتحدة الأمريكية. وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، تزايد عدد علماء الاجتماع في أمريكا، وتأسس في عام ١٩٢٣ م مجلس البحوث للعلوم الاجتماعية الذي ركز على المناهج البحثية وشروط تطبيقهاوالالتزام بها.

وعليه أصدر هذا المجلس أول مؤلف علمي حول مناهج البحث في العلوم الاجتماعية ل ستيوارت رايس، تضمن أعمال بحثية نموذجية لعدد من العلماء حول مفاهيم البحث الاجتماعي وموضوعات بحثية كالتغير الثقافي ومفاهيم البحث الاجتماعي.

تبع ذلك تجارب منهجية عديدة في بريطانيا واستخدم المسح الاجتماعي في البحوث التطبيقية التسويقية في جميع المجالات:)الاتصالات وغيرها(، وجميعها التزمت بالمعايير ووسائل البحث الاجتماعي في دراسة شتى الموضوعات كالاتجاهات والميول الاجتماعية حتى الانتخابات الرئاسية.

وجاءت هذه موازية لاستخدام العينات والمقاييس التي تم استخدامها بشكل مكثف من قبل التربويين في تصنيفاتهم التربوية واختباراتهم النظرية.

وفي منتصف القرن العشرين صدرت مجلة بعنوان القياس النفسي وتأسس» معهد جالوب .. « للبحوث عن الرأي العام ... وتفوقا في مجال البحوث التطبيقية.

وقد ركز كلاهما على الاهتمامات البحثية خاصة مشكلة التنبؤ ارتبطت هذه التطورات بالتزامها بمعايير ووسائل البحث الاجتماعي.

تطور علم الاجتماع التطبيقي بشكل ملحوظ على يد عالم النفس الألماني كيرت ليون) عضو المدرسة الجيشطالتية(الذي استقر عام ١٩٣٣ م في أمريكا بسبب» بحث الفعل « : طرحه لمصطلحات عديدة مثل » بحث الفعل « الهدف المنقول « » مستوى الطموح « وتركيزه على ربط ، البحوث الأكاديمية بالأحداث الاجتماعية. والاستفادة منها في الدراسات السلوكية ودراسات الجماعة .

اشتغل ليون مع صاحب الابتكار الشهير » مارينو « عن القياس الاجتماعي }سوسيومتيرك{ في دراسة الجماعة الصغيرة الذي تبناه السلوكيون، ثم في موضوع دينامية الجماعة.

بهذا توجه اهتمام الباحثين في المجتمع الأمريكي بعد الحرب العالمية الثانية نحو دراسة المشكلات والأزمات الاجتماعية والأمراض النفسية من الإدمان على المخدرات إلى التشرد والبطالة والتفكك الأسري التي أنتجتها الحرب.

وعقد أول مؤتمر لمجلس البحوث عام ١٩٤٨ م ضم علماء من تخصصات عدة، حدد فيه تركيبته المتضمنة السلوك الواقعي والمعرفة الاجتماعية النظرية ومناهجه التطبيقية.

وقد اتخذ دعاة علم الاجتماع التطبيقي منطلقاً تخطيطياً يشبه عمل المهندس)المتنور الاجتماعي(، حيث قسم الأمريكي كولدنر أو بالأحرى ميز بين نوعين من العمل التطبيقي في حقل علم الاجتماع:

- العمل العيادي ويقتضي تحديد وتشخيص ومتابعة دوافع المراجع وأثر المؤثرات الاجتماعية عليها: بمعنى دراسة مشكلة المبحوث وهو في بيئته وجماعته وأسرته ومدرسته)أي المبحوث يذهب إلى الباحث الاجتماعي وليس العكس(

الهندسه الاجتماعيه المهندس الاجتماعي يساهم مع متخصصين في حقول طبيعية وهندسية وسلوكية ومهنية لمعالجة وتأهيل وتوجيه المشكلة الاجتماعية وهي في واقعها ومحيطها الاجتماعي.

من خلال هذه اللمحة السريعة نستنتج مجموعة من العوامل المختلفة والمتراكمة التي ساهمت في دعم نشوء علم الاجتماع التطبيقي:

- تحسين الوضع الاجتماعي وتطلبه لإقامة مسوحات اجتماعية
- وجود مشاكل صحية أو سكنية أو أسرية تتطلب إقامة مسوحات اجتماعية
- ظهور مؤسسات تهتم وتقوم بالمسوحات
- نشوب حرب عالمية أولى أفرزت مشاكل اجتماعية متنوعة ومتكاثرة
- أزمة اقتصادية عالمية ١٩٣٠ وما أفرزته من مشاكل اجتماعية متعددة
- نشوب حرب عالمية ثانية وما تركت وأنتجت من أزمات ومشاكل جديدة
- انتباه بعض علماء الاجتماع لأهمية الجانب التطبيقي في علم الاجتماع.

بالطبع هذا الفرع التخصصي لعلم الاجتماع التطبيقي قد نشأ نتيجة تزاوج أحداث كونية وليست محلية أو إقليمية، سياسية واقتصادية وجغرافية وليس اجتماعية وحسب، وهذا ما يجعل المطالبة بوجود حاجة ملحة وضرورية من أجل معالجة ما أفرزته هذه الأحدث الكونية.

وقد يعتقد البعض بأن علم الاجتماع التطبيقي يعني مناهج البحث الإحصائية الرقمية، إلا أن هذا الاعتقاد ليس في محله، لأن علم الاجتماع التطبيقي ينطوي على تضافر وتكامل اختصاصات من خارج وداخل الجامعة من أجل دراسة ومعالجة آثار مشكلة اجتماعية واحدة. ولأن معالجة كل مشكلة تتباين مع معالجات المشاكل الأخرى، فإن التطبيقي لا يستطيع أن يقدم منهجاً واحداً لكل المشاكل ، أو طرحاً واحداً يتناسب مع الكل، لاسيما وأن عمله لا يكون مستقلاً بذاته، بل متفاعلاً مع اختصاصات عديدة مثل :

)الاقتصاد والسياسة والتخطيط الحضري والصحة العامة والإدارة وعلم النفس والهندسة(؛ لذلك لا يخضع مباشرة لكل متطلبات علم الاجتماع العام كالتأطير النظري والرجوع إلى أدبياته واستخدام مفاهيمه ومصطلحاته باستمرار.

من هنا نشأ الخلاف بين علماء الاجتماع الأكاديميين)العام(والتطبيقيين، أي بسبب جنوح التطبيقي)جبراً(عن الالتزام الكامل بمرجعية الأصل في مفاهيمه ومصطلحاته ونظرياته.

وذلك لأن علم الاجتماع التطبيقي يخضع لإشراف أصحاب القرار ممن ليس لهم دراية بعلم الاجتماع، والذين يركزون على تحقيق أهدافهم الخاصة بمواقعهم وعملهم، حتى ولو كان ذلك على حساب موضوعية علم الاجتماع.

ولهذا يرفض علم الاجتماع النظري قيام علم الاجتماع التطبيقي تحت إشراف غير علماء الاجتماع.

مواضيع اهتمام علم الاجتماع التطبيقي

لكل حقل من حقول علم الاجتماع مادة اجتماعية يحددها هو لكي يستخدمها في بناء معرفته التخصصية:

علم الاجتماع الريفي له مادته المتكونة من المجتمع القروي والمحلي)الجيرة – العشيرة- ومجالسهم التعاونية(

علم السكان)الديموغرافية(له مادته الاجتماعية لبناء معرفته السكانية)الوفيات- الولادات- الزيجات- الطلاق- حجم الأسرة- تنظيم النسل والزيادة السكانية(

أما حقل علم الاجتماع التطبيقي فتكون مادته الاجتماعية في بناء معرفته التخصصية منسابة من التغير الاجتماعي وما يطرحه علم الاجتماع الهندسي)الهندسة الاجتماعية (وعلم الاجتماع العيادي من مشكلات اجتماعية حديثة ومعاصرة.

في مجال مادته الاجتماعية الأولى في التغير الاجتماعي:

يهتم بالتغيرات الكمية والتغيرات الكيفية أو النوعية:

التغير الكمي: الزيادة في حجم السكان وتوزيعه وتركيبه ، عدد المراكز الصحية،عدد الأسر ، أي التحول المتزايد والمتنامي في عدد الأفراد وتنوع حاجاتهم وتباين مصالحهم واختلاف ميولهم بغض النظر عن النوعية والأهداف

التغير الكيفي: التحولات التي تحصل في أسلوب التعامل والتفاعل بين أفراد المجتمع داخل تنظيماتهم المختلفة. والتحول في التزامهم بوسائل الضبط الاجتماعي ومعاييره. أي دراسة كل ما يفرزه التغير الاجتماعي من تحولات وتطورات سلوكية ومعيارية وقيمته في النسق الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي أو التربوي لا يهتم علم الاجتماع التطبيقي بدراسة أسباب التغير الاجتماعي ولا بالصراعات الاجتماعية، إنما أهدافه تنطوي على التعرف على المستجدات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية من أجل رفد وإثراء إحدى النظريات الاجتماعية.

بمعنى آخر يحاول علم الاجتماع التطبيقي تجسير الواقع المستجد والحي بالنظرية الاجتماعية بفضل تطبيق مناهج البحث الاجتماعي في دراسته للأحداث الاجتماعية.

ينتقي علم الاجتماع التطبيقي مفاهيمه من حقول علم الاجتماع المختلفة، والتي تمثل اهتماماته التطبيقية وأهدافه التي تساعده على فهم التحولات والتطورات والتغيرات الاجتماعية والمفاهيم التي ينتجها التغير ذاته.

ويهتم علم الاجتماع التطبيقي بنتائج علم الاجتماع الهندسي والاجتماع العيادي.

علم الاجتماع الهندسي

-ينطوي على دراسة التنمية الإدارية في المعمل مثلاً والتي تقود لرفع كفاءة العامل والموظف أو المهني، معرفة الرضى الوظيفي عنده: عن الرواتب وساعات العمل .

- يتعامل مع مشكلة الجماعة ككل، أي مع الأداء الوظيفي أو مشكلة الأجور. يهتم به صناع القرار وواضعي السياسة الاجتماعية لاحتواء المشاكل.

علم الاجتماع العيادي

- يدرس المشكلة الاجتماعية كما يعيشها المبحوث)العامل مثلاً(بعيدا عن الضغوط القيمية والأحكام العرفية.

- يتعامل مع أفراد الجماعة بشكل مباشر

-يهتم بمعرفة دور الفرد في المجتمع ومعرفة معوقات أدائه.

علم الاجتماع الهندسي

-يستخدم الباحث تقنيات منهجية تتعامل مع الإحصاءات والارتباطات بين المتغيرات مثل العينات والاستبانات والمقابلات وتصميم البحوث التجريبية لجمع المعلومات عن المبحوثين

علم الاجتماع العيادي

-يحصل العيادي على المعلومات من المبحوث من خلال المقابلات المباشرة، بدون أن يخضع لأي قيود قيمية

كل تغير اجتماعي يواجه مقاومة من قبل الأفراد وعدم قبول التجديد فتعرقل انتشاره لكن ليست ذات نوع واحد ودافع واحد، هناك نوعين من المقاومة:

المقاومة الصامتة :

-تعبر عن رفض الفرد الذاتي للتغير الذي يخضع لمؤثرات حسية وذوقية ومزاجية خاصة به لا تتدخل فيها ثقافته الاجتماعية أو أنساقه البنائية بل تدخله الشخصي

المقاومة الصارخة:

-تعبر عن رفض أحد عناصر الثقافة الاجتماعية لقبول التغير. وهي لا تخضع للمؤثرات الفردية الذاتية بل تمثل مقاومة جمعية ظاهرة تعكس عدم الاستجابة المجتمعية للتغير.

هناك معوقات تمنع عالم الاجتماع التطبيقي من تنفيذ أبحاثه، منها عدم تمكنه من إجراء أبحاثه إلا في الميادين المجتمعية للبحث عن المشكلات والتعرف عليها والتفاعل معها، كي يجمع معلوماته.

يسمى المتخصصون في علم الاجتماع التطبيقي لأن دراستهم تنص على » المعالجون التنظيميون « دراسة التنظيمات .

يهتموا أيضاً بقياس الاتجاهات الاجتماعية السائدة والمواقف العامة في المجتمع.

المادة الاجتماعية والمظلة الاجتماعية لعلم الاجتماع التطبيقي التي تغذي معرفته التخصصية موضحة بالشكل الآتي:

علم الاجتماع التطبيقي

- لهندسة الاجتماعية
- قياس الاتجاهات
- التغير الاجتماعي
- المشكلات الاجتماعية
- الاجتماع العيادي